

بسم الله الرحمن الرحيم  
سلسلة كيف نفهم هذه الآية  
الآية ٢٣٤ و ٢٤٠ من سورة البقرة

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فالآية الثالثة عشرة مما قد يُشكل على قارئ كتاب الله - عز وجل - هي قوله -تبارك وتعالى- في سورة البقرة: **{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}** [البقرة: ٢٣٤]، فهذه الآية لا إشكال فيها، ولكن قوله -تبارك وتعالى- بعده آيات: **{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ}** [البقرة: ٢٤٠]، ففي الآية الأولى ذكر الله - عز وجل - عدة الوفاة أن المرأة تبقى أربعة أشهر وعشراً، وهذا هو المعروف عند الناس إلى ساعتنا هذه، ولكن الآية التي بعدها ذكرت الحول **{مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ}** [البقرة: ٢٤٠]، أي: أن العدة سنة كاملة، فهذا ذهب فيه عامة أهل العلم إلى أن الآية الأولى ناسخة للآية الثانية، يعني: الآية رقم ٢٣٤ ناسخة للآية رقم ٢٤٠، وعلى هذا تكون هذه هي الآية الوحيدة في كتاب الله - عز وجل - التي نسخت آية بعدها، العادة أن الناسخة تأتي بعد المنسوخة في الترتيب تُذكر الآية ثم يُذكر الناسخ بعدها بسورة أو آيات، ولكن هنا الناسخة قبل المنسوخة، وهذا في الترتيب فقط، في ترتيب الآيات وليس في النزول قطعاً؛ لأنه لا شك أن الناسخة نزلت بعد المنسوخة قطعاً بلا إشكال، لكن ترتيب الآيات النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ضعوا هذه الآية في مكان كذا وكذا، فهذا الذي عليه عامة أهل العلم.

فيكون إذاً الترتيب إلى الحول في العدة -عدة المتوفى عنها زوجها- منسوخاً، كان في أول الأمر تجلس سنة كاملة ثم تُسَخ تخفيفاً من الله - عز وجل - فصار أربعة أشهر وعشراً، والذي ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إلى أن ذلك نُسخ من الوجوب إلى الاستحباب، فيُستحب للمرأة أن تبقى مدة حول كامل في العدة - عدة الوفاة- ولكنه لا يجب، الواجب أن تبقى أربعة أشهر وعشراً، والجمهور على أن ذلك نُسخ من أصله، تبقى أربعة أشهر وعشراً فقط، هذا موضع.

الموضع الآخر: وهي الآية الرابعة عشرة وهي في قصة إبراهيم -صلى الله عليه وسلم- حينما دعا ربه بقوله في سورة البقرة: **{رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [البقرة: ٢٦٠]، فهذه الآية هل يفهم أحد من ظاهرها أن إبراهيم -صلى الله عليه وسلم- وقع له شيء من التردد في قدرة الله - عز وجل - على إحياء الموتى، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد قال: **((نحن أحق بالشك من إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-))**<sup>(١)</sup>، فما المراد؟ ما المراد خاصة مع هذا الحديث، لأن الحديث يتكلم عن هذه القضية **((نحن أحق بالشك من إبراهيم -صلى الله عليه وسلم-))**؟، فيقال: المراد -والعلم عند الله - عز وجل - هو أن

١ - أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله - عز وجل -: **{وَتَبَيَّنَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ}** [الحجر: ٥٢]، برقم (٣٣٧٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، برقم (١٥١).

الكمال على درجات، ومراتب متباينة غاية التباين، فإبراهيم -صلى الله عليه وسلم- كان قد بلغ الكمال في الإيمان، ولكنه بلغ فيه درجة علم اليقين، الكمال في الإيمان -اليقين الكامل- يكون بعلم اليقين، أن يعلم الإنسان علماً راسخاً ثابتاً لا تردد فيه ولا يقبل التشكيك، هذا علم اليقين، القضية مثل واحد زائد واحد يساوي اثنين، فإبراهيم وصل إلى هذه المرتبة في الإيمان ما عنده تردد في قضية كيف وهو خليل الرحمن، وهو أمة كما قال الله -عز وجل-: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا}** [النحل: ١٢٠]، فإبراهيم وصل إلى مرتبة علم اليقين، فأراد أن يرتقي إلى درجات أعلى في الكمال وهي درجة عين اليقين، فقال: **{أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}** [البقرة: ٢٦٠]، فالإنسان حينما يُخبره مُخبر بقضية، الآن الله -عز وجل- أخبرنا عن الجنة ونعيمها، فنحن مؤمنون بها، فهذه المرتبة يقال لها: علم اليقين، ما عندنا أي شك ولا تردد في وجود الجنة، فإذا رأينا الجنة في الآخرة **{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ}** [الشعراء: ٩٠]، إذا رأيناها صار هذا عين اليقين، فإذا دخلتها فإن ذلك يكون حق اليقين، أنا حينما أخبرك مثلاً أنه قد بُني هذا المسجد، وأنت ما رأيته فهذا علم اليقين إذا كنت تثق بخبري، فإذا أشرت إليه أقول: انظر هذا المسجد الذي حدثتك عنه صار عين اليقين، فإذا دخلت كما نحن الآن في وسطه هذا حق اليقين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "حينما يقول لك إنسان: عندي غسل، وأنت تثق بخبره فهذا علم اليقين، فإذا أراكه قال: هذا هو الغسل، هذا صار عين اليقين، فإذا فتحته ودُفِّت صار ذلك حق اليقين"<sup>(٢)</sup>.

فهذه هي المراتب الثلاث من مراتب الكمال، فإبراهيم -صلى الله عليه وسلم- أراد أن ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، هذا هو المراد، والله تعالى أعلم.

وأما قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **{(نحن أحق بالشك من إبراهيم -صلى الله عليه وسلم-)}**، فالمراد به على ما ذكره شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وجماعة من أهل العلم المراد به أن هذه المسافة بين علم اليقين وعين اليقين يصح أن يُعبر عنها في كلام العرب بأنها شك، ليس الشك بمعنى التردد، لا، وإنما فقط من باب التسمية، المساحة بين علم اليقين وعين اليقين يصح أن يقال عنها تجوزاً: إنها شك، وليس بمعنى التردد في الإيمان، فهذا لا يتأتى، هذا المراد به الآية.

في آية أخرى أسمع أحياناً بعض طلاب العلم يُشدد في النكير على من استدل بها على معنى لربما هو المتبادر، وهي قوله -تبارك وتعالى- بعد أن ذكر آية الدين قال في آخرها: **{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}** [البقرة: ٢٨٢]، أنتم تسمعون كثيراً وتقرءون الاستدلال بهذه الآية على أن التقوى هي سبب العلم، **{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}** [البقرة: ٢٨٢]، فبعض طلاب العلم يقولون: لا، هذه ليست على ما تفهمون، "اتقوا الله" أمر بالتقوى، ثم أخبرهم خبراً ما له علاقة بالموضوع، ليس هنا ارتباط، ليس مترتباً على ما قبله ترتب الجزاء على الشرط، وإنما أمرهم بالتقوى وأخبرهم أن الله يُعلمهم، ما فيه مُلازمة، بعض طلبة العلم يقولون هذا، ما بينهما ملازمة، ولكن هذا التشديد لا داعي له، فإن جمعاً من أهل العلم من المحققين قالوا: إن هذه مرتبة على هذه، **{وَاتَّقُوا اللَّهَ}** [البقرة: ٢٨٢]، فتكون النتيجة أن الله يفتح لكم من الفهم والعلوم، والمعارف ما لا يخطر لكم على بال، وهذا

ذكره الحافظ ابن كثير، وذكره الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-، وذكره أبو عبد الله القرطبي<sup>(٣)</sup>، وجمع من هؤلاء الكبار.

والقول الآخر ذكره عرضاً يعني الذين ذكروه مثل ابن جرير الطبري والضحاك وهو مروى عنه<sup>(٤)</sup>، لما ذكروا المعنى الثاني وهو أنها ليست مرتبة عليها، قالوا: "انقوا الله"، أمر بالتقوى، "ويعلمكم الله"، خبر من الله أنه يعلمهم هذه الأحكام المتعلقة بالدين وما أشبه ذلك، ما طرقتوا عليها بقوة وقالوا: لا يصح غير هذا المعنى ولا تحتل إطلاقاً.

فنبهت على هذا لأنه يُحتاج إليه، والله تعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

---

٣ - انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٧٢٧)، وتفسير القرطبي (٣/ ٤٠٦)، وتفسير السعدي (ص: ٩٦١).

٤ - انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٢٠).